

توحيد



دانيال جيماري
ترجمة: فيصل سعد

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

توحيد⁽¹⁾

دانيال جيماري

تعريب: فيصل سعد

1 - نشرت في الملف البحثي "التوحيد بين الأصل الإسلامي والتأويل الجهادي: الأعلام والتخصص" بتاريخ 22 فبراير 2018، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، إشراف بسام الجمل، تقديم أنس الطريقي.

تعريب مادة: توحيد TAWHID، دانيال جيماري، دائرة المعارف الإسلامية، بالفرنسية، ط2، ص417.

يعني التَّوْحِيد في الأصل الاعتقاد بأنَّ الله واحد والإقرار بذلك، أي الاعتقاد بوحداية الله، مثلما يعني عند المسلم الاعتقاد والإقرار بما ينصُّ عليه الركن الأول من الشَّهادة في الإسلام «لا إله إلاَّ الله». وغالباً ما تُسمَّى هذه الشَّهادة الأولى بالتحديد «كلمة التوحيد»، مثلما تُسمَّى أحياناً «سورة الإخلاص 112» سورة التوحيد التي تقول: إِنَّ اللَّهَ أَحَدٌ وَإِنَّهُ لَا كُفُوَ لَهُ (انظر تفسير الطبرسي).

وإذا كان مصطلح «توحيد» نفسه غير موجود في القرآن، «وكذا الأمر مع صيغته الفعلية «وَحَدَّ»، فإنَّ المبدأ القائل إنَّ الله وحيد حاضرٌ فيه العديد من المرَّات بالطَّبع. وحتى نكتفي بهذه الأمثلة فإنَّ الله يُوصَفُ ثلاث عشرة مرَّةً بأنَّه «إله واحد». وقيل في تسع وعشرين مناسبة في شأنه «لا إله إلاَّ هو» (دون احتساب صيغ أخرى مماثلة لها في المعنى)، كلُّ ذلك في الغالب خلافاً للمشرِّكين (انظر شِرْك)، وأحياناً كذلك خلافاً للمسيحيين (النساء 4، 171، المائدة 5، 73، التوبة 9، 31)، بل لليهود (التوبة 9، 31، أو للوثنيين (النحل 51، 16).

المتكلِّمون من جهتهم يسعون، وهم غير راضين بالاستدلال بالآيات الآنف الذَّكر، إلى البرهنة على وحدانية الله عقلياً، وحجَّتهم في ذلك هي «التمانع». ويقولون: لو كان ثمة إلهان، فسيكون بينهما في لحظة أو في أخرى تنازع بين إرادتين. وبما أنَّه يتعزَّر أن تتحقَّق إرادتهما المتعارضتان في الوقت ذاته، فإنَّه سيَنضَح في الحين أنَّ أحدهما غير قادر، أو قد يكون كلاهما كذلك، فإنَّه لن يكون الكائن العاجز إلهاً (انظر د. جيماري، مذهب الأشعري، باريس 1990، 254-252، مع المراجع المُدرَّجة). وفيما عدا ذلك نزعُ أنَّا نرى إرهابات هذه الحجَّة في القرآن (الأنبياء 21، 22) في قوله: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا).

أمَّا وقد أضحى الإقرار بعقيدة التَّوحيد خاصيةً للإسلام، فلا نستغرب أنَّ بعض المؤلِّفين عَنَوْا بعبارة أهل التَّوحيد أحياناً مجموع المسلمين. فمن بين هؤلاء المحدث السَّني ابن خزيمة (كتاب التوحيد، طبعة هراس، بيروت، 1973، ص306، 325، 327، 329) والإمامي الشَّيخ المفيد، (أوائل المقالات، ط، النجف 1973، ص117، 119، 120، 124، 127، 128، وانظر رواية مشابهة في «الموحِّدون» المرجع نفسه، 118، 121، 123، 125، 131 وكذلك الأشعري (المقالات، فايزبادن 1963، ص146، 326، 571). غير أنَّ بعض الحركات الإسلامية زعمت تمثيلاً للعقيدة التوحيدية الخالصة أحسن من غيرها، ومن ثَمَّ احتكرت التسمية، ومثال ذلك: المعتزلة الذين يُسمَّون أنفسهم أهل التوحيد والعدل (انظر معتزلة)، وأحياناً حتَّى أهل التوحيد فقط (قارن بالبزدوي، أصول الدِّين، القاهرة 1963، 35، وابن معين النسفي، التبصرة، دمشق 1990، ص200) وكذلك الموحِّدين [انظر الموحِّدون] أتباع المهدي بن ثُمَرت).

وقد أدى مفهوم «التوحيد» في الأدبيات الصوفيّة إلى تأملات عميقة، وهكذا أصبح من مفهوم بسيط تجربة روحانيّة. ويفرّق نصّ مشهور للجُنَيْد بين أربعة مستويات منه: بدءاً بمجرد الإقرار بوحدايّة الله التي يكتفي بها المؤمنون العاديون، وصولاً إلى المرتبة العليا الخاصّة، وخلالها تَفْنَى المخلوقات كليّاً أمام خالقها محقّقة بذلك الفناء في التوحيد (راجع: ر. دُولدِرْيَار، الجُنَيْد، التّعاليم الروحيّة، باريس، 1983، ص 150-152)، ويقترح الغزالي (في الإحياء، ط، القاهرة 1968، ج 305، IV) تصنيفاً شبيهاً في جزء منها، وانظر خاصّة حول مقالات الصوفيين في التوحيد: (رسالة القشيري، القاهرة، 1974، 581-588).

إنَّ أهميّة عقيدة التوحيد في الإسلام، رغم أنَّ الأمر يتعلّق هنا في الواقع بصفة من صفات الله، تجعل كلمة التوحيد تأخذ في بعض الحالات دلالة أوسع. وتعني عند العديد من علماء الكلام عن الله وعن وجوده وعن صفاته المتعدّدة: هكذا نجد عند عبد الجبار المعتزلي (انظر المُعْني، 259، V، و1.1، قوله: «تمَّ الكلام في التوحيد»)، وكذلك عند الحنبلي أبي يعلى في (التوحيد، بيروت 1874، 385)، بل أكثر من ذلك نجده أحياناً في عناوين مؤلّفات عديدة تحت اسم «مجموع أصول الدّين»، كما تعرّفها المدارس الكلاميّة التي تنتهي الكلمة إلى الدلالة عليها، وهكذا ينسحب الأمر من جملة ما ينسحب على كتاب التوحيد للماتريدي، وعلى الكتاب ذي العنوان نفسه للمتكلّم الإماميّ ابن بابويه، أو على «رسالة التوحيد» لمحمّد عبّده المتأخّرة كثيراً. وعادة ما تعني عبارة «علم التوحيد» (بل التوحيد فحسب) في الاستعمال الحالي علم التوحيد عامّة، وتمثّل المرادف الحديث لعلم الكلام (راجع: فاردي، أنواتي، المدخل إلى علم الكلام الإسلاميّ، باريس 1948، فهرس المصطلحات التقنيّة، أسفل التوحيد).

ببليوغرافيا: انظر حول برهنة علماء الكلام على وحدانيّة الله، خاصّة ابن متّويه، المجموع في المحيط، I، بيروت 1965، 215، 226، (الجويني، الشّامل، الإسكندريّة 1969 345-401). وأبا المعين النّسفيّ، التّبصرة، 81، 98، والشّهستانيّ، نهاية الأقدام، أكسفورد 1934 90-102.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun_sm



مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط - أكادال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com